

قراءة في مصداق كلمة (اليوم) في آية (اليوم) أَكْمَلْتُ لَكُمْ

الدكتورهادي رزافي هريكندهئي (الكاتب المسؤول)

عضو الهيئة العلمية في جامعة نوشيرواني بابل - ايران

razaghi@nit.ac.ir

رقية صادقي آهنگري

طالبة العلوم الدينية في حوزة السيدة خديجه ، بابل - ايران

ru.sadeghi@gmail.com

معصومة نوروزيان عزيزي

طالبة العلوم الدينية في حوزة السيدة خديجه ، بابل - ايران

Zahrayas1361@gmail.com

**A reading of the truthfulness of the word “today” in the
verse of “Today I have completed for you”**

Hadi Razzaghi Harikandehi

**A member of the scientific staff at the University of Nushirwani Babel(Clerk in
charge)**

Roghaye Sadeghi Ahangari

The Religious sciences student in the seminary of Mrs. Khadija , Babylon , Iran

Masoumeh Norouzian Azizi

The Religious sciences student in the estate of Mrs. Khadija , Babylon , Iran

Abstract:

The interpreters' opinions differed regarding the validity of the word "today" in the verse. Some interpreters believed that it was referring to a specific day and others went to say that it does not refer to a specific day, but rather came in the general sense of the day. The question that arises here is whether the Qur'an means "today" in this context a specific day, or did the word come in the general sense of it? And if he meant a specific day when this day. Most Shiite commentators have argued that "today" in this verse means a specific day and say that it is the day that the Messenger of God (peace and blessings of God be upon him and his family, Joseph) was to be taken for granted by Ali (PBUH) and to give him over the day of the nation of Islam, which is the day. As for the interpreters of the Sunnah, they believe that the validity of "today" in this verse is the day of Arafah, and it is Friday, which God will complete the statutes and rulings of the Muslim nation. This study attempts through the vision of the Sunnis, and by relying on the analytical descriptive methodology and also based on the narrative and rational narratives, that the validity of the "day" in this verse must be a specific day and it is a day tomorrow, etc.

Key words : Verse 3 , Today , Ghadir Khum , Arafah .

الملخص :

تضاربت آراء المفسرين حول مصداق كلمة "اليوم" في آية الإكمال. فبعض المفسرين رأوا أنها تشير إلى يوم بعينه وذهب البعض الآخر إلى القول بأنها لا تدل على يوم بعينه وإنما جاءت بالمعنى العام لليوم. فالسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو هل يقصد القرآن بكلمة "اليوم" في هذا السياق يوماً معيناً أم جاءت الكلمة بالمعنى العام لها؟ وإذا كان يقصد يوماً بعينه متى هذا اليوم. وقد ذهب معظم المفسرين الشيعة إلى أن "اليوم" في هذه الآية يقصد به يوماً معيناً ويقولون أنه اليوم الذي أوحى إلى رسول الله (ﷺ) أن يستخلف علياً (ع) ويوليه علي أمة الإسلام وهو اليوم المعروف بيوم غدير خم. أما مفسرو السنة فيرون أن مصداق "اليوم" في هذه الآية هو يوم العرفة وهو يوم الجمعة التي أكمل الله الفرائض والأحكام على أمة المسلمين. وتحاول هذه الدراسة من خلال رؤية أهل السنة والإعتماد على المنهجية الوصفية التحليلية وأيضاً الاستناد على الروايات النقلية والعقلية، أن مصداق "اليوم" في هذه الآية هو لابد أن يكون يوماً بعينه وهو يوم غدير خم.

الكلمات الرئيسية : آية ٣ المائدة – اليوم – غدير خم – عرفة .

المقدمة

ما هذا "اليوم" الذي وصفه الله تعالى بأنه يوم إكمال الدين. فهذا اليوم بهذه الخصائص الخاصة الذي تميزه علي كل الأيام لابد أن يكون يوماً مفصلياً وخاصاً و مصيرياً في تاريخ الإسلام و لابد أن يكون قد شهد أحداث خاصة ميزته علي الأيام الأخر. وتقول الروايات الشيعية أن الله قد اختار الإمام علياً (عليه السلام) في هذا اليوم ولياً للمسلمين و خليفة لرسول الله (ﷺ). (علم الهدي، ١٤١١ق، ١٣٠/٤، ١، طبرسي، ١٤٠٦ق، ٣١٢/١ الكليني، ١٣٨٨ق، ٢٨٩/١، الخويزي، ٢٠٠١م، ٥٨٧/١، البحراني، ١٩٩٩م، ١/٤٤٤). ويتلائم مضمون الآية برأي الشيعة و تفسيرهم، لأنه عندما استخلف رسول الله (ﷺ) علياً و ولّاه علي المسلمين، يئس الكفار و خاب ظنهم بموت الشريعة، لأنهم كانوا يظنون أن الشريعة الإسلامية ستموت فور وفاة الرسول (ﷺ). فقد ظن الكفار أن دعائم الإسلام تقوم علي الشخص و ما إن يموت الشخص حتي تموت الشريعة وتندثر و يعود العرب علي ملّة آبائهم في الشرك؛ لكن عندما رأوا أن الرسول (ﷺ) قد استخلف رجلاً كامل الصفات وأعظم و أتقي و أعدل الناس من بعده و قد أخذ البيعة منهم له، خاب ظنهم في اندثار الإسلام و محو الشريعة، و أدركوا أن الإسلام دين متجذّر و شجرته أصلها ثابت و فرعها في السماء. فقد بلغ الإسلام كماله في هذا اليوم و اكتملت رسالته. فلو لم يختار الرسول (ﷺ) خليفة من بعده و لو لم تتضح ملامح الطريق ومستقبل الأمة، لا يمكن أن تكتمل رسالة الرسول و لم تنته كما أراد الله أن تنتهي. وقد أوصلتنا هذه الدراسة إلي أن جميع الروايات الشيعية تقول أن مصداق "اليوم" في هذه الآية هو يوم معين و تتفق أن المقصود به هو ذلك اليوم الذي أوحى إلي الرسول (ﷺ) أن يستخلف علياً (عليه السلام) علي المسلمين و يولّيه علي الأمة الإسلامية، و هو يوم غدیر خم. أما معظم علماء أهل السنة و مفسريهم يقولون أن المقصود بقوله "اليوم" هو يوم بعينه و يرون أن ذلك اليوم هو يوم عرفة الذي أكمل الله فيه فرائض المسلمين و أحكام الشريعة. لهذا تسعى هذه الدراسة أن تعرف مصداق "اليوم" في الآية الكريمة بالإستناد إلي الروايات و الإستناد إلي الدلائل العقلية والنقلية.

مفهوم المصطلحات

اليوم

"اليوم" هو فترة زمنية تبدأ من الفجر وبزوغ الشمس وتنتهي بأفولها؛ ويراد منه الوقت و الزمان، سواء كان ذلك الزمان ليلاً أو نهاراً؛ فقد يقال «ذخرتك لهذا اليوم» (الفيومي؛ ١٤١٤ ق، ٢/٤٨٣). و من معاني اليوم هو الأيام جمعاء (إبن منظور، ١٤٠٨ ق ١٥/٤٦٦) و فترة من الزمن (الراغب الإصفهاني، ١٤١٦ ق، ص ٨٩٤). وقيل أن اليوم إذا ذكر بصورة معرفة بـ"ال" يعني ذلك اليوم الخاص و هو عندما يسبق الحديث عن يوم بعينه ثم يقال ذلك اليوم بعينه؛ و قد يعني اليوم الحاضر. كما يقال دخل اليوم فلان؛ أي دخل في هذا اليوم الخاص؛ إذن الاختلاف حول كلمة "اليوم" هو معرفة ما يقصد به من الزمان. فهذا اليوم بناء علي معني الآية له أربعة خصائص و هي: يوم يثس الكفار من موت شريعة المسلمين واندثارها؛ يوم إكمال الدين؛ يوم إتمام النعمة؛ و يوم ارتضي الله تعالي بأن يكون الإسلام شريعة الناس و دينهم إلي يوم القيامة. ولا شك أن الإجابة علي هذا السؤال يحظى بأهمية بالغة، لأن هذا اليوم يتميز بخصائص وصفات بارزة أفردته عن الأيام الأخرى.

آراء المفسرين حول كلمة "اليوم"

أولاً: يوم غير محدد (حقبة زمنية)

يري بعض المفسرين أن المقصود بقول "اليوم" في هذه الآية هو حقبة من الزمن و لا تشير إلي يوم بعينه. علي سبيل المثال روي عن فخر الرازي في هذا الشأن رأيين؛ ردي يقول فيه أن "اليوم" لم يستخدم في هذا السياق بمعناه الحقيقي؛ و إنما استخدم بمعناه المجازي و هو "الأوان" و "الأيام". إذن لا تقصد هذه الآية يوماً بعينه؛ و إنما تقصد بزوغ نجم الإسلام و عظمتة و خيبة أمل الكافرين ونهاية زمانهم.

وقوله هو: «أنه ليس المراد هو ذلك اليوم بعينه حتى يقال إنهم ما يثسوا قبله بيوم أو يومين، و إنما هو كلام خارج على عادة أهل اللسان معناه لا حاجة بكم الآن إلى مداينة هؤلاء الكفار لأنكم الآن صرتم بحيث لا يطمع أحد من أعدائكم في توهين أمركم، و

نظيره قوله: كنت بالأمس شاباً و اليوم قد صرت شيخاً، و لا يريد بالأمس اليوم الذي قبل يومك، و لا باليوم يومك الذي أنت فيه....» (الرازي، ١٤٢١ق، ١١/١٣٦).
أما الزمخشري فله رأي في هذا الشأن، فقد يقول حول معني "اليوم": «اليوم لم يرد به يوماً بعينه، و إنما أراد به الزمان الحاضر و ما يتصل به و يدانيه من الأزمنة الماضية و الآتية، كقولك: كنت بالأمس شاباً، و أنت اليوم أشيب، فلا تريد بالأمس اليوم الذي قبل يومك، و لا باليوم...» (الزمخشري، بي تا، ١/٦٠٤).

نقد الآراء

لقد رودت إنتقادات و آراء كثيرة حول رفض هذا القول والتأكيد علي أن "اليوم" قد ورد في معناه الحقيقي و لم يستخدم بمعناه المجازي. وستذكر بعض منها حسب مقتضي الحال.

أولاً) المعني المجازي هم أن يستعمل اللفظ في غير ما وضع له مع وجود قرينة دالة علي المعني الأصلي. (مظفر، ١٣٩٥ش، ١/٢٧، اسنوي، ١٤٠٧ق، ص ١٨٥). إذن إلغاء المعني الحقيقي لمفردة "اليوم" (فترة زمنية تبدأ من بزوغ الشمس وتنتهي بغروبها) والإعتماد علي المعني المجازي؛ بحاجة إلي قرينة دالة علي المعني الحقيقي لكي تدل المعني الحقيقي إلي الذهن و تقرّبه إليه. في حين لم نر في الآراء المطروحة أي قرينة تدل علي أن مفردة "اليوم" استخدمت بالمعني المجازي.

ثانياً) وردتنا روايات وأحاديث تاريخية كثيرة تدل بالدليل القاطع أن مفردة "اليوم" قد رودت بالمعني الحقيقي و ليس المعني المجازي، وهو اليوم الخاص والمحدد. وقد تقول بعض كتب التفاسير والأحاديث أن هذا اليوم هو اليوم الثامن عشر من ذي الحجة في السنة العاشرة للهجرة (البحراني، ١٤٠٢ق، ٢/٢٢٧، الطبرسي، ١٤١٣ق، ٣/٢٤٦، ابن المغازلي، ١٤٠٣ق، ص ٤٧، الحسكاني، ١٩٧٤م، ١/٢٠٣). و روايات أخرى تقول أن هذا اليوم هو اليوم التاسع من ذي الحجة في العام نفسه و هو يوم عرفة. (العياشي، بي تا، ١/٢٩٣، الكليني، ١٣٨٨ق، ١/٢٩٠، البخاري، ١٤٠٧ق، ١/١٤، والسيوطي، ١٣٦٣ش، ٢/٢٥٧ - ٢٥٨، الواحدي النيسابوري، ١٤١١ق ص ١٩٢ و ١٩٣).

وقد ذكرت دلائل كثيرة حول رفض القول بأن مفردة "اليوم" وردت بالمعني المجازي وليس المعني الحقيقي. و عدد كبير من مفسري أهل السنة قالوا أن مصداق "اليوم" هو يوم بعينه و يرون أن ذلك اليوم هو يوم عرفة و ذكروا العديد من الروايات في هذا الشأن. منها: أن رجلاً، من اليهود قال له: يا أمير المؤمنين، آية في كتابكم تقرأونها، لو علينا معشر اليهود نزلت، لاتخذنا ذلك اليوم عيداً. قال: أي آية؟ قال: ﴿يَوْمَ أَكَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نَعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] قال عمر: قد عرفنا ذلك اليوم، والمكان الذي نزلت فيه على النبي (ﷺ)، وهو قائم بعرفة يوم الجمعة (البخاري، ١٤٠٧، ٢٥/١، الترمذي، بي تا، ٢٥٠/٥، الطبري، ١٩٨٨، ٥٢٩/٩، الطبراني، ٢٢٠/٧ والنسائي، ١٤١٩، ق، ٢٥١/٥، الثعلبي، ١٤٢٢، ق، ٤/ ١٧، السيوطي، ١٣٦٣، ش، ٢٦٢/٢، و القرطبي، ١٩٨٥، ٦١/٦) إذن يتبين لنا أن رسالة هذه الآية التي وراها أكبر المفسرين تؤكد أن عبارة "اليوم" في هذه الآية تشير إلي يوم خاص و بعينه و لا يمكن القول أنها تشير إلي حقبة من الزمن.

ثانياً) يوم محدد و خاص

١- مصداق "اليوم" في الآية هو يوم غدیر خم و ولاية الإمام علي (عليه السلام) تقول الغالبية الساحقة من علماء ومفسري الشيعة مثل (البحراني، ١٤٠٢، ق، ٢٢٥/٢، الطبرسي، ١٤١٣، ق، ٢٤٦/٣، الخويزي، ٢٠٠، ١، ٥٨٧/، الطوسي، ١٤٠٢، ق، ٣٣٦/٣، الكليني، ١٣٨٨، ق، ١ / ٢٩٠ و الصدوق، ١٤١٧، ق، ص ٣٥.....) أن مصداق "اليوم" في هذه الآية هو يوم خاص و بعينه، وهو اليوم الذي أوحى إلي الرسول (ﷺ) أن يستخلف علياً (عليه السلام) ويوليّه علي المسلمين وذلك في يوم غدیر خم، لأنه في ذلك اليوم فقط خاب ظن الكفار باندثار الشريعة و محوها بعد وفاة الرسول (ﷺ). فقد كان يري الكفار أن وفاة الرسول هي بمثابة نهاية الرسالة و كانوا يظنون أن الإسلام سوف يندثر و يزول تدريجياً بعد وفاة صاحب الشريعة. لكن عندما رأوا أن الرسول الأكرم (ﷺ) قد اختار أفضل و أكرم رجل من بعده لاستخلافه و ذلك بأمر من الوحي الإلهي وأخذ البيعة له من المسلمين وبايعة المسلمون في ذلك اليوم، أدركوا أن الإسلام سيكون ديناً خالداً أبدياً لا يأتي عليه الزمن، فخابت آمالهم و يأسوا من زوالها.

بل العكس، ففي ذلك اليوم اكتملت الرسالة وبلغت ذورتها في التبليغ وإتمام الحجة علي الناس، لأنه إن لم يعين الرسول (ﷺ) خليفة له، وما لم تتضح ملامح مستقبل المسلمين والشريعة الإسلامية، لا يمكن الحديث عن الإكمال وتتميم الحجة. وستبقى الرسالة منقوصة وهي نزيهة من أن تبقى ناقصة. ففي ذلك اليوم أتم الله نعمته علي المسلمين حين اختار الإمام علي (عليه السلام) خليفة للرسول الأكرم (ﷺ) وإماماً وولياً للمسلمين كافة. فذلك اليوم المبارك كان تنمة الرسالة وإكمال الحجة علي المسلمين وهذا إكمال الشريعة الإسلامية، فقد رضي الله الإسلام ديناً للمسلمين وللناس جميعاً. وهذا ما يمكن إثباته من خلال القرائن والدلائل الموجودة في الآية. وفي هذا المضمار نشير إلي عدد من الروايات والتاريخية حسب مقتضى حال.

١-١. قال ابو جعفر (عليه السلام): «وكان الفريضة تنزل بعد الفريضة الاخرى وكانت الولاية آخر الفرائض فانزل الله عز وجل ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾» قال ابو جعفر (عليه السلام): «يقول الله عز وجل: "لا انزل عليكم بعد هذه الفريضة قد اكملت لكم الفرائض (الكليني، ١٣٨٨ق، ١/ ٢٨٩، الحويزي، ٢٠٠١م ١/ ٥٨٧، البحراني، ١٤٠٢ق، ١/ ٤٤٤، والمصدر نفسه ١٩٩٩م، ص ٣٣٨).

١-٢. يقول الإمام الرضا (عليه السلام): «وانزل حجة الوداع وهي آخر عمره (ﷺ) ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ وأمر الامامة تمام الدين، ولم يمض (ﷺ) وسلم حتي بين لامته معالم دينهم، وأوضح لهم سبيلهم، وتركهم علي قصد الحق وأقام لهم علياً (عليه السلام) علماً واماماً، وما ترك شيئاً يحتاج اليه الامة الا بينه» (الكليني، ١٣٨٨ق، ١/ ١٩٨).

١-٣. وروي في مجمع البيان وتفسير كنز الدقائق عن الإمامين الباقر والصادق (عليهما السلام) إنهما قالوا: «إنما نزل بعد أن نصب النبي (ﷺ) علياً (عليه السلام) علماً للأئمة يوم غدير خم عند منصرفه عن حجة الوداع. قالوا: وهي آخر فريضة أنزلها الله تعالى ثم لم ينزل بعدها فريضة.» (الطبرسي، ١٤١٣ق، ص ١٥٩، القمي، ١٤٠٤ق، ٤/ ٣٢).

إذن معظم الروايات الشيعية تقول أنّ شأن نزول آية الإكمال هو ولاية الإمام علي (عليه السلام) وإمامته وهذا أمر محتم لا يدع مجالاً للشك. (علم الهدى، ١٤١١ق، ١٣٠/٤ الطبرسي، ١٤٠٦ق، ٣١٢/١ والحلي، ١٢٥ق، ص ١١٨.....) وهذا القول يتلائم تماماً مع مضمون الآية، لأنّه حينما استخلف الرسول (ﷺ) في يوم غدیر خم علياً وولاه علي المسلمين، خابت آمال الكفار وئسوا من زوال الشريعة، لأنهم كانوا يظنون وهماً أنّ وجود الإسلام مرهون بوجود الرسول (ﷺ) فهو يتكل عليه مادام حياً وما أن يموت الرسول حتي يموت الإسلام وتعود العرب علي ملّة أبائهم في الكفر والشرك فالإسلام بهذا آيلٌ إلي الزوال، لكن عندما شهد الكفار قد استخلف الرسول (ﷺ) رجلاً يليه في العلم والتقوي والورع والإيمان، وهو أعظم رجل بعد الرسول من ناحية القيم الأخلاقية والإسلامية وأخذ له البيعة من المسلمين، خاب ظنهم الواهي وئسوا من اندثار الإسلام مستقبلاً وعرفوا أنّ الإسلام أعمق جذوراً وأقوي أصولاً من أن يندثر ويزول بموت الرسول (ﷺ). ففي ذلك اليوم اكتملت الرسالة وبلغت ذورتها، ولو لم يستخلف الرسول (ﷺ) علياً (عليه السلام) ولم يولّه علي المسلمين بأمر من الله تعالى، لم يصل الإسلام إلي كماله وعلوه. لذلك لم يواجه الباحث الشيعي في إثبات هذا الأمر أي تحدّ أو مشكلة تعيق بحثه.

٢- مصداق "اليوم" هو يوم عرفة الخاص بإكمال الأحكام والفرائض

أكد معظم علماء ومفكري السّنة أنّ مصداق "اليوم" هو يوم محدد وبعينه وقد اجتمعوا أنّ هذا اليوم هو يوم الجمعة المعروف بيوم عرفة الذي أكمل الله فيه الفرائض والأحكام. ويذكر المفسرون السّنة في تفسير آية "اليوم أكملت لكم دينكم" رواية من طارق بن شهاب والرواية هي: «روى الأئمة عن طارق بن شهاب قال: نزلت في عشيّه يوم عرفة يوم الجمعة، وفي ذلك اليوم أمّحى أمر الشّرك من مشاعر الحجّ، ولم يحضر من المشركين الموسم بشر، فيحتمل قوله تعالى: الْيَوْمَ: أن تكون إشارته إلى اليوم بعينه، و يحتمل أن تكون إشارته إلى الزّمن والوقت، أي: هذا الأوان يئس الكفّار من دينكم وفي «الصحيح» «أنّ عمر بن الخطّاب، قال له يهودي: آيه في كتابكم تقرأونها، لو علينا نزلت، لاتخذنا ذلك اليوم عيداً، فقال له عمر: أي آيه هي؟ فقال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ

﴿وَيُنَكِّمُ﴾ ، فقال له عمر: قد علمنا ذلك اليوم نزلت على رسول الله (ﷺ)، وهو واقف بعرفة يوم الجمعة» (الطبري، ١٩٨٨م، ٩ / ٥٢٩، السيوطي، ١٣٦٣ش، ٥٧/٢ و ٢٥٨، الرازي، ١٤٢١ق، ١١/١٣٧، الثعلبي، ١٤٢٢ق، ٤/١٧، القرطبي، ١٩٨٥م، ٦/٤١، ابن كثير الدمشقي، ١٩٨٧م، ٣/٢٤، القاسمي، ٣٣/٤ الآلوسي، ١٤١٧ق، ٣/٢٣٢ و..).

ونقل ابن كثير الدمشقي والآلوسي رواية عن أبي سعيد الخدري الذي قال: «فإن هذا (أي نزول الآية في عرفة) أمر معلوم مقطوع به، لم يختلف فيه أحد من أصحاب المغازي و السير، و لا من الفقهاء و قد وردت في ذلك أحاديث متواترة لا يشك في صحته...» (ابن كثير دمشقي، ١٩٨٧م، ٣/٢٤).

كما يرى المفسرون السنة أن الله في تلك الجمعة المعروفة بيوم عرفة قد أنزل كل الأحكام والفرائض والحدود الإلهية، بحيث لم ينزل بعد هذه الآية حكماً فقد بين الحرام والحلال كله.

ويري محمد بن جرير الطبري في تفسيره الشهير أن إكمال الدين هو نزول الفرائض من عند الله و يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ اليوم أكملت لكم أيها المؤمنون فرائضي عليكم و حدودي، و أمري إياكم و نهبي، و حلالي و حرامي، و تنزيلي من ذلك ما أنزلت منه في كتابي، لأدله التي نصبتها لكم على جميع ما بكم الحاجة إليه من أمر دينكم، فأتممت لكم جميع ذلك، فلا زياده فيه بعد هذا اليوم. قالوا: و كان ذلك في يوم عرفة عام حج النبي (ﷺ) حجه الوداع» (الطبري، ١٩٨٨م، ٦/٧٩).

أما الثعلبي وبعض المفسرين فقد ذهبوا مذهب محمد بن جرير الطبري في القول أن المقصود بإكمال الدين هو نزول كل الفرائض من عند الله و إتمام الأحكام الإلهية، ويقول: «الْيَوْمَ» هو يوم نزول هذه الآية ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ أي الفرائض و السنن و الحدود و الأحكام و الحلال و الحرام فلم ينزل بعد هذه الآية حلال و لا حرام و لا شيء من الفرائض». (الثعلبي، ١٤٢٢ق، ٤/١٧، الزمخشري، بي تا، ١/٦٠٥ ابن سليمان، ١٤٢٣ق، ١/٤٥٣ الآلوسي، ١٤١٧ق، ٣/٢٣٢، الزحيلي، ١٤١٨ق، ٦/٨٤).

الرد علي قول أهل السنة بدلالة شأن نزول الآية علي العرفة في يوم الجمعة

يرفض المفسرون الشيعة رأي معظم أهل السنة بأن مصداق "اليوم" هو يوم عرفة و هو يوم الجمعة؛ فقد قدموا دلائل مختلفة لدعم رأيهم بالحجج، ونتطرق إلي هذه الآراء في هذا المجال و نقوم بدراسة أهم هذه الآراء.

أولاً: من ينظر إلي الروايات المتعلقة بهذا الشأن نظرة ثاقبة سوف يري أن الرواية المنقولة عن عمر بن الخطاب حول مصداق "اليوم" في هذه الآية تتنافي مع الروايات الأخرى التي نقلها أهل السنة، لأن بعض تفاسير وروايات أهل السنة تقول أن يوم عرفة هو يوم الإثنين وليس يوم الجمعة. منها:

١- يقول النسائي في "السنن": «خبرنا ابن ابراهيم عن عبدالله بن إدريس عن أبيه عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب أنه قال: "أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْيَهُودِ قَالَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، آيَةٌ فِي كِتَابِكُمْ تَقْرَأُونَهَا لَوْ عَلَيْنَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ نَزَلَتْ لَا تَخَذُنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا. قَالَ أَيُّ آيَةٍ قَالَ ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾. قَالَ عُمَرُ قَدْ عَرَفْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ وَالْمَكَانَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ عَلَيَّ النَّبِيُّ (ﷺ) وَهُوَ قَائِمٌ بِعَرَفَةَ يَوْمَ جُمُعَةٍ؛ وَبَعْضُ الرِّوَايَاتِ نَصَّتْ عَلَيْهَا أَنَّهَا نَزَلَتْ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ».

(النسائي، ١٤١٩ق، ٥/٢٥١).

٢- ويقول بعض المفسرين حول هذه الآية: «...نزلت هذه الآية أعني قوله تعالى - اليوم اكملت لكم دينكم.... يوم الاثنين» (الطبري، ١٩٨٨م، ٦/١٠١، المارودي، ١٤١٦ق، ١/٤٦٦ و ابن عطية ١٤١٣ق، ٢/١٥٤) يوم نزول الآية ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ هو يوم الإثنين.

٣- يري كل من السيوطي وابن كثير أن يوم نزول آية الإكمال هو يوم الإثنين و روي في هذا الشأن رواية عن ابن عباس وهي: «عن ابن عباس: وُلِدَ نَبِيُّكُمْ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ وَ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ وَ دَخَلَ الْمَدِينَةَ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ وَ أَنْزَلَتْ سُورَةُ الْمَائِدَةِ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ (اليوم اكملت لكم دينكم) و رفع الذكر يوم الاثنين» (السيوطي، ١٣٦٣ ش، ٢/٢٥٨ و ابن كثير الدمشقي، ١٩٨٧م، ٢/١٥).

٤- وقد تذكر لنا بعض كتب السنة أن الرسول الأكرم (ﷺ) قد أقام فريضة الظهر والعصر في يوم عرفة في حجة الوداع معاً (أبو داود، ١ بي تا، ٢٩٩ و

النسائي، ١٤١٩ق، ١/٢٩٠) وهذا إن دلّ علي شيء إنما يدلّ علي هذه الآية لم تنزل في يوم الجمعة؛ لذلك الرأي الذي نقل عن عمر بن الخطاب (حول نزول هذه الآية في يوم الجمعة) تتنافي مع الروايات الأخرى. ثانياً: لقد رودت الكثير من الروايات التي تؤكد لنا هذه الآية نزلت في غدير خم وهذا ما رواه معظم المفسرين والرواة الثقة من أهل السنة (السيوطي، ١٣٦٣ش، ٢/٢٥٧ و ٢٥٨، الرازي ١٤٢١ق، ١١/١٣٧، ابن كثير الدمشقي، ١٩٨٧م، الآلوسي، ٦/٦٠، رشيد رضا، بي تا، ٦/١٥٤، الشوكاني، بي تا، ٢/١٢، الثعالبي، ١٤١٨ق، ٢/٣٤٣، القنوجي البخاري، ١٩٩٩م، ٣/٣٤٤، الطبري، ١٩٨٨م، ٩/٥٢٩). وصرح كل من هؤلاء في تفسير هذه الآية أن الرسول الأكرم (ﷺ) بعد نزول هذه الآية لم يعمر إلّا أحداً وثمانين يوماً أو اثنين وثمانين يوماً. علي سبيل المثال يقول فخرالدين الرازي:

«قال أصحاب الآثار: إنه لما نزلت هذه الآية علي النبي (ﷺ) لم يعمر بعد نزولها إلّا أحداً وثمانين يوماً، أو اثنين وثمانين يوماً، ولم يحصل في الشريعة بعدها زيادة ولا نسخ ولا تبديل ألبته». الرازي، ١٤٢١ق، ١١/٢٨٩).

ومن جانب آخر، مشهور لدي مورخي أهل السنة أن يوم ١٢ ربيع الأول هو مقارن ليوم ميلاد الرسول و يوم وفاته، وهذا ما تؤكد عليه كتب السير و التاريخ (إبن الجوزي، ١٤١٢ق، ٢/٧٨٩، الطبري، ١٣٨٧ق، ٣/٢٠٠) إذن بهذه المقدمة يتضح جلياً أن يوم نزول الآية ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ هو يوم ١٨ من ذي الحجة و هو نفس يوم غدير خم؛ لأن الفاصلة الزمنية بين ١٨ من ذي الحجة وبين ١٢ ربيع الأول؛ واحد وثمانون يوماً أو إثنان وثمانون يوماً. وهذا القول يضرب قول من الذين يدعون أن الآية نزلت يوم عرفة عرض الجدار و ثبت عدم صحتها. لأن الفاصل الزمني بين يوم عرفة و ١٢ ربيع الأول هو ٩١ يوماً، فلم يقم المؤرخون بحساب بسيط كي لا يقعوا في هذه الأخطاء الحسابية الفادحة حتي يجدوا مبرراً لأخطائهم؛ إذن يتبين لنا جلياً أن الآية قد نزلت في يوم غدير خم.

ثالثاً: لقد ورد القول بأن هذه الآية نزلت في عرفة وفي يوم الجمعة، في أهم وأبرز كتب تاريخ السنة. فهذا صحيح البخاري ينقل رواية من سفيان الثوري ويقول: «قال سفيان وأشك كان يوم الجمعة ام لا...» (البخاري، ١٤٠٧ق، ١٢٧/٥).

رابعاً: يبدو أن جواب عمر بن الخطاب لليهودي لم يكن يقنع اليهودي فسحب بل لم يقتنع به المسلمون أنفسهم. فإن كان قصد الخليفة أن نزول هذه الآية تزامن مع يوم عيد العرفة ولذلك لم يحتفل به المسلمون، عند ذلك كان بإمكان اليهودي أن يسأله لماذا أنزل الله هذه الآية في يوم العيد حتي يعكر صفو عيدكم. إذن بهذه الدلائل التي جاء ذكرها لا يمكن أن يكون يوم عرفة مصداقاً يعتمد عليه.

كما قيل أن الله في هذا اليوم قد أكمل الله الفرائض والأحكام. وللرد علي هذه الإشكالية نقول:

أولاً: تتباين هذه الروايات مع الروايات الأخرى التي نقلها علماء السنة، علي سبيل المثال نقل بعض الرواة السنة روايات تقول أن شأن نزول الآية هو غدير خم والحدث الجلل التي شهده هذا الموضع، لذلك تفقد تلك الروايات أهميتها ولم يعتد بها (الجويني، ١٣٩٨ق، ٧٤/١، الحسكاني، ١٩٧٤م، ٢٣٨/١، الخوارزمي، ١٤٢١ق، ١٣٥، البغدادى، ١٤١٧ق، ٢٩/٨، الكوفي، ١٤١٢ق، ١١٨/١).

ثانياً: إن كان المقصود بإكمال الدين نزول الفرائض والأحكام والواجبات و حدود الحرام والحلال إلخ، فكيف يمكن أن يلقي هذا الأمر اليأس والإحباط في قلوب الكافرين؟ فقد نزلت قبل هذا الفرائض والأحكام و بينت الشريعة حدود الله، فلم يحبط هذا الأمر الكافرين و لم تيأس قلوبهم بل زادوا من عداوتهم للرسول (ﷺ) و ناصبوا له العدا. وقد بين الله سبحانه و تعالي قبل ذلك الفرائض والأحكام و حدود الحلال و الحرام؛ ولم يقل اليوم أكملت لكم دينكم و رضيت لكم الإسلام ديناً. إذن يتضح لنا أن الأمر غير ما يقوله أهل السنة في بيان الأحكام والفرائض.

ثالثاً: إن كان المقصود بالإكمال هو إيصال الدين إلي هذه الدرجة من خلال تنزيل آخر الأحكام حول الحلال والحرام في هذا اليوم (عرفة) والذي أدّى إلي حالة اليأس والقنوط لدي الكفار، عند ذلك يجب أن نطرح السؤال التالي: من هم الكفار الذين خاطبهم الله في قوله «الذين كفروا» و لماذا خاطبهم؟

وإذا كان المقصود كفار العرب الذين نزل عليهم الإسلام فلم يكن بينهم من يظهر غير الإسلام ديناً، فهذا التظاهر بالإسلام هو نفسه نوع من الإسلام (الإستسلام)، إذن حسب هذا القول لم يكن في الجزيرة العربية عربي كافر يظهر غير الإسلام ديناً، وإذا كان المراد بهذا القول الكفار من الأمم والشعوب الأخرى - كما سبق القول - هم أنفسهم قد يؤسوا من الغلبة علي المسلمين، إذن يتضح لنا أن هذا القول يجانب الصواب ولا أساس له من الصحة.

حصاء البحث:

بناء علي القضايا التي طرحها المفسرون السنة الذين يقولون أن مصداق «اليوم» هو جمعة يوم عرفة ويرون أن الله قد أكمل الفرائض والأحكام في هذا اليوم، لابد أن نستخلص النتائج التالية:

أولاً: الرواية التي نقلت عن عمر بن الخطاب والتي تقول أن المراد باليوم في قوله ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ تتنافى مع الروايات الأخرى التي نقلها رواة أهل السنة، لأن بعض الروايات السنية تؤكد أن الآية قد نزلت في يوم الإثنين وليس الجمعة.

ثانياً: اكمال الدين تغيير نوعي و لم يكن تغييراً كمياً. ولهذا لا علاقة له بفروع الأحكام حتي تكتمل بنزول حكم من الأحكام، وإنما تتعلق بدمر تعيين القائد واختيار الخليفة والإمام المعصوم الذي يستخلف الرسول (ﷺ) و يتسلم دفعة قيادة الأمة الإسلامية.

ثالثاً: وإن قدّمنا تفسيراً يقوم علي الذوق الشخصي والقرينة الفردية، عند ذلك أيضاً لا يمكننا القول أن الشريعة التي جاء بها الرسول الأكرم (ﷺ) يعتورها النقص؛ لأن النقصان في الدين يظهر عندما يعجز الدين عن استجابة حاجات معتقه والمؤمن به، في حين أن الشريعة التي جاء بها الرسول الأعظم (ﷺ) كان قادرة علي استجابة كل حاجات المسلم المعنوية قبل نزول تلك الآية، فلم يعتورها النقص أو يعوزها شيء من الكمال والأحكام التي وردت في القرآن الكريم كانت تتناسب مع المجتمع الإسلامي آنذاك و كانت قادرة علي تلبية حاجاته. إذن كان الرسول الأكرم (ﷺ) دائماً يومن بدين كامل الصفات متكامل الأحكام لا يعتروه أي نقص.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير ما ابتدئ به القرآن الكريم

- ١- الإسنوي، عبد الرحيم، الطبقات الشافعية، تحقيق كمال يوسف الحوت، بيروت، ١٤٠٧ق.
- ٢- الآلوسي، شهاب الدين، سيد محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، تصحيح، محمد حسين العرب،، بيروت، دار الفكر، ١٤١٧ق
- ٣- ابن جرير، محمد، الجامع البيان عن تأويل آية القرآن، (تفسير الطبري) بيروت، دار احياء التراث العربي، ١٤٠٨ق
- ٤- ابن الجوزي، ابوالفرج عبدالرحمن بن علي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد عبدالقادر عطا و مصطفى عبدالقادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٢ق/ ١٩٩٢م
- ٥- ابن عطية، عبد الحق، المحرز الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت، ١٤١٣ق
- ٦- ابن كثير (الدمشقي)، إسماعيل بن عمر القرشي أبو الفداء، تفسير القرآن العظيم، الطبعة الثانية، بيروت، دار المعرفة، ١٩٨٧م
- ٧- ابن المغازلي، علي بن محمد الشافعي، مناقب الإمام امير المؤمنين علي بن أبي طالب، تحقيق محمد باقر المحمودي، بيروت، دار الاضواء، ١٤٠٣ ق
- ٨- ابن منظور، لسان العرب، بيروت، دار احياء التراث العربي، ١٤٠٨ ق/ ١٩٩٨م، الطبعة الأولى.
- ٩- البحراني، سيد هاشم، غاية المرام و حجة الخصام، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٩٩٩م، الطبعة الأولى.
- ١٠- البخاري الجعفي، محمد بن اسماعيل ابو عبدالله، صحيح البخاري، الطبعة الثالثة، بيروت، دار ابن كثير ١٤٠٧ق/ ١٩٨٧م.
- ١١- الترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الصحيح (سنن الترمذي)، تحقيق احمد شاکر، بيروت، بي تا،
- ١٢- الثعالبي، عبدالرحمن، الجواهر الحسان في تفسير القرآن (تفسير الثعالبي) تحقيق شيخ محمد علي معوض، بيروت، دار احياء التراث، ١٤١٨ق

- (25)قراءة في مصداق كلمة اليوم.
- ١٣- الثعلبي، ابواسحاق احمد، الكشف و البيان (تفسير الثعلبي)، تحقيق: أبي محمد بن عاشور، بيروت، داراحياء التراث العربي، ١٤٢٢ق
- ١٤- الجويني، ابراهيم بن محمد، فرائد السمطين، حققه: محمد باقر المحمودي، بيروت، مؤسسة المحمودي، ١٣٩٨ق / ١٩٧م
- ١٥- الحسكاني، عبدالله بن عبدالله بن احمد، شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، تحقيق محمد باقر المحمودي، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٩٧٤م
- ١٦- الرازي الشافعي، فخر الدين محمد بن عمر التميمي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢١ق / ٢٠٠٠م
- ١٧- الراغب الإصفهاني، حسين، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق عدنان داوودي، بيروت، دار الشامية، ١٤١٦ق
- ١٨- رشيد رضا محمد، (شيخ محمد عبده)، تفسير القرآن العظيم (تفسير المنار) بيروت، دار الفكر، بي تا، الطبعة الثانية.
- ١٩- الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير المنير في العقيدة و الشريعة و المنهج، بيروت، دار الفكر المعاصر، ١٤١٨ق
- ٢٠- الزمخشري، جارالله، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، بيروت، دارالكتب العربي، بي تا.
- ٢١- السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن، الدر المنثور، طهران، منشورات أمير كبير، ١٣٦٣ش
- شوكاني، محمد بن علي، فتح القدير الجامع، بيروت، دار المعرفة، بي تا
- ٢٢- الصدوق، ابوجعفر محمد بن علي، الأمالي، قم، مؤسسة البعثة، ١٤١٧ق
- ٢٣- الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ترجمة محمد جواد حجت كرماني، قم، مؤسسة مطبوعات دار العلم، ١٣٤٨ش
- ٢٤- الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل القرآن، بيروت، دارالفكر، ١٩٨٨م
- ٢٥- الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٣٨٧ق
- ٢٦- الطبرسي، فضل بن حسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، حققه: المحلاتي ١٤٠٦ق

- (26)قراءة في مصداق كلمة اليوم.
- ٢٧- الطوسي، محمد بن حسن، التبيان في تفسير القرآن، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٢ق.
- ٢٨- العروسي الحويزي، عبد علي بن جمعة، نور الثقلين، بيروت، مؤسسة التاريخ العربي، ٢٠٠١م، الطبعة الأولى.
- ٢٩- علم الهدى، مرتضى، الذخيرة في علم الكلام، تحقيق سيد أحمد الحسيني، قم، مؤسسة نشر اسلامي، ١٤١١ق
- ٣٠- العياشي، محمد بن مسعود، تفسير العياشي، تصحيح هاشم رسولي محلاتي، طهران، المكتبة الاسلامية، بي تا.
- ٣١- الفيومي، أحمد بن محمد، المصباح المنير، قم، مؤسسة دار الهجرة، ١٤١٤ق، ط الثانية.
- ٣٢- القرطبة، محمد بن احمد، الجامع لاحكام القرآن، بيروت، دار احياء التراث العربي، ١٩٨٥م
- ٣٣- القمي، علي بن ابراهيم، تفسير القمي، تصحيح السيد الطيب الموسوي، قم، ١٤٠٤ق
- ٣٤- قنوجي البخاري، أبي طيب صديق بن حسن، فتح البيان في مقاصد القرآن، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٩م
- ٣٥- الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، تصحيح علي أكبر الغفاري، طهران، دار الكتب الاسلامية، ١٣٨٨ق
- ٣٦- مظفر، محمد رضا، أصول الفقه، منشورات اسماعيلي ان تاريخ النشر ١٣٩٥
- ٣٧- مقاتل، ابن سليمان، تفسير مقاتل، تحقيق عبدالله محمود شحاتة، بيروت، دار احياء التراث العربي، ١٤٢٣ق
- ٣٨- النسائي، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن، خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، تحقيق محمد الكاظم المحمودي، قم، ١٤١٩ق
- ٣٩- النسائي، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن، السنن الكبرى، تحقيق سليمان البنداري و سيد الكسروي حسن، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١١ق
- ٤٠- الواحدي النيسابوري، ابي الحسن علي بن احمد، أسباب النزول الآيات، تحقيق كمال زغلول، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١١ق